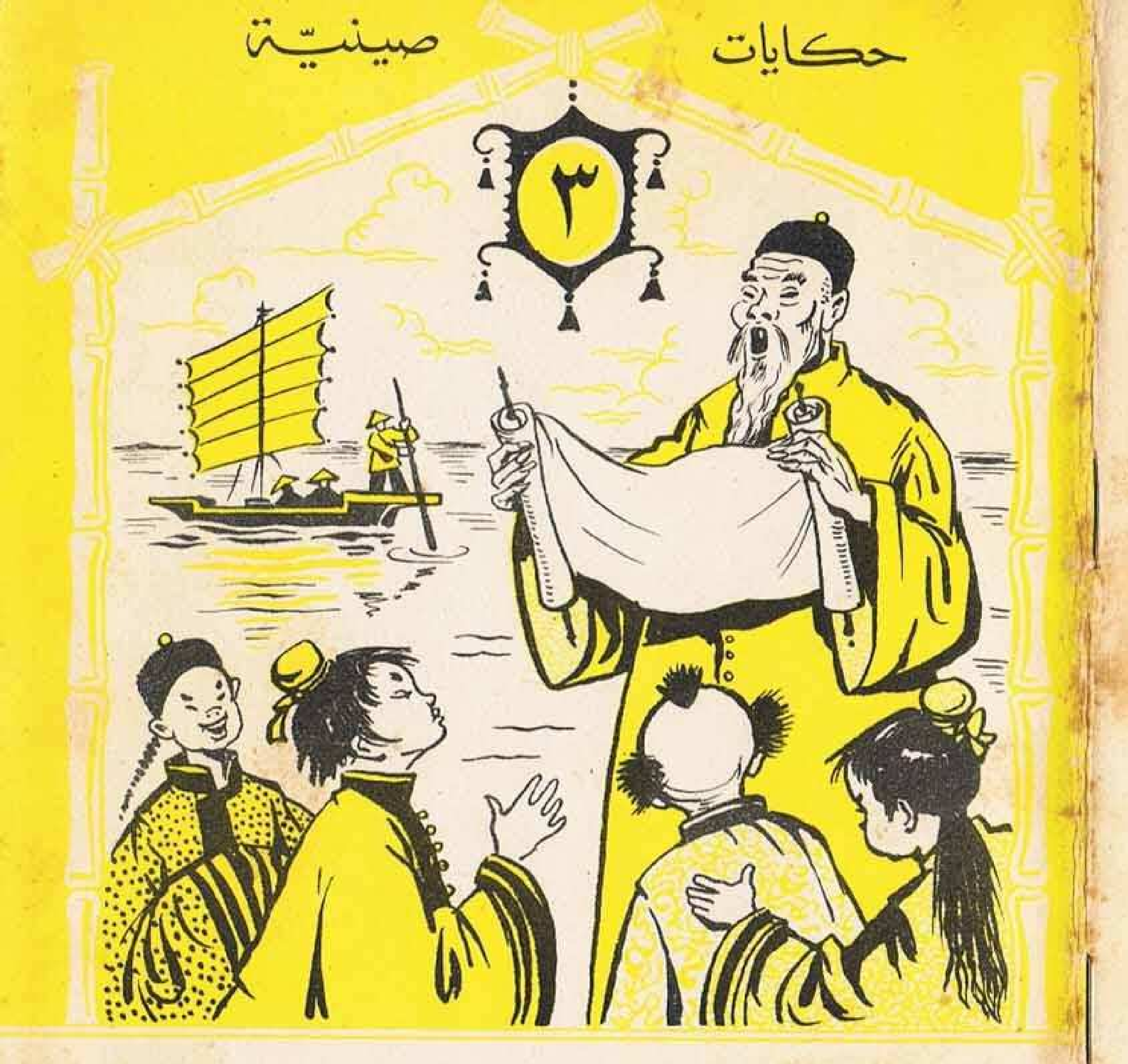


جبل الكنوز السبعة

دار المعارف بمصر

حكايات صينية

مجموعة من الحكايات الشائقة اللطيفة التى تصور للناشئة العربية بلاد الصين وأخلاق أهليها وجوانب من معايشهم ومجتمعاتهم ونوادرهم ولطائفهم .

● صدر منها :

دار المعارف للطباعة والنشر

٦٦٢

ملتزم التوزيع : مؤسسة المطبوعات الحديثة – ٣ شارع ماسبيرو – القاهرة

حكايات صينية

٣

جبل الكنوز السبعة

للأساتذة

محمد أحمد برانق حامد محمد سليمان

تان سومين

民書湯

دار المعارف بمصر

٥ شارع ماسبيرو — القاهرة

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر

جَبَلُ الكُنُوزِ السَّبْعَةِ

١

مُنذُ زَمانٍ قديمٍ ، وفى مَكانٍ بَعيدٍ جِدًّا ، كانَ هُناكَ بحْرٌ كَبيرٌ ، وفى وَسَطِه جَبلٌ عالٍ ، وَعَلَى قِمَّةِ هَذا الجَبَلِ كانَ يُقيمُ رجُلٌ شَيْخٌ قدْ عاشَ عَشراتِ الألوفِ مِنَ السِّنينَ ، وكانَ شَعْرُهُ كلُّهُ أبيضَ فى لوْنِ الثَّلْجِ ، وَلكنَّه كانَ قَوِيًّا صحيحَ الجسمِ . . . وكانَ هَذا الشَّيْخُ يَعرفُ كلماتٍ سِحريَّةً ، إذا قالَها فى اللَّيْلةِ السَّابعةِ مِنَ الشَّهرِ السَّابعِ ، ووَجْهُه إلى السَّماءِ — فَإنَّ السَّماءَ تُمْطِرُ سَبْعَةَ أَنواعٍ مِن الْحِجارةِ الكَرِيمَةِ ، أَلوانُها مِثلُ الشَّرَرِ .

عَلِمَ أَحَدُ التُّجَّارِ بأَمرِ هَذا الرَّجُلِ ؛ فعَبَرَ جِبالًا وَبحارًا ، لِكَىْ يَراهُ ، ويَسْأَلَهُ أَن يُعلِّمَهُ هَذه الكَلِماتِ السِّحْرِيَّةَ ،



لقد جئت إليك لتعلمنى الكلمات السحرية

وَلَمَّا وَصَلَ إلى الشَّيْخِ ، أَخبَرَهُ أنه جاء إِلَيْهِ لِيُعلِّمَهُ الكلماتِ السِّحريَّةِ .

وعِنْدَما عَلِمَ الشَّيْخُ رَغْبَةَ التَّاجِرِ فَكَّرَ قليلًا ثُمَّ قالَ :
أَستَطيعُ أن أُعَلِّمَكَ هَذهِ الكلماتِ ، وَلكِنْ يجبُ أن تَعْلَمَ أَنَّ هذهِ الكلماتِ لا تُستَخْدَمُ غيرَ مرَّةٍ واحدةٍ فى السَّنةِ ، وأنهُ عندَ ما تَحْصُلُ عَلَى الأحْجارِ الكريمةِ عليكَ أنْ تُوزِّعها كُلَّهـا على الفقراءِ ، وإذا طَمِعتَ فيها لنفسِكَ ، فإنها ستَجْلِبُ لكَ سُوءَ الحظِّ !

كانَ التَّاجرُ يرْغَبُ رَغْبَةً قَوِيّةً فى مَعْرِفةِ هَـذه الكلماتِ ، ولذلكَ وافقَ عَلَى ما اشترطَه الرجُلُ الشَّيْخُ ، دونَ أن يُفكِّرَ وَيفهمَ جيِّدًا ما يَعْنيهِ الرَّجُلُ بكلماتِه .
وهكذا علَّمه الشيْخُ الكلماتِ السِّحريَّةَ ، وما إن تعلَّمها حتى أَسْرَعَ عائِدًا إلى دارِه .

٢

أَخَذَ التَّاجِرُ يَنتظِرُ بِصَبْرٍ فارِغٍ اللَّيْلَةَ السَّابعةَ مِنَ الشَّهرِ السَّابعِ ، وعِنْدما أَقبلَتْ هذه اللَّيْلةُ لَمْ يُفكِّرْ قَطُّ في تحْذيرِ الشَّيخِ ، بَلْ كان خائفاً أن يَرَى الفقراءُ الأحْجارَ الكَريمةَ وَيَسْرِقوها مِنهُ ، فأَغلقَ الأبْوابَ والنَّوافذَ ، وَتَهيَّأَ ليَتْلُوَ الكلِماتِ السِّحْريةَ ، ولكنْ . . . في هذه اللَّحظةِ قَفَزَ مِن سَطحِ المَنْزِلِ أَكْثرُ منْ عَشْرةِ لُصُوص ، ثمَّ قيَّدُوهُ بحَبْلٍ وَحَملوهُ بَعيدًا إلى مَكانٍ مُوحِشٍ فوقَ الجبَلِ ، لقَدْ عَلِمَ اللُّصُوصُ أنَّ التاجرَ تَعلَّمَ الكلماتِ السِّحريةَ ، وأَرادُوا أن يُرْغِموهُ عَلَى أن يَأْتِيَهمْ بالكَنزِ . . . فهَلْ يَسْتطيعُ التاجرُ أن يُقاوِمَهُمْ ؟ . . . بالطَّبْعِ لا . . .

لقدْ فكَّرَ التَّاجرُ : إنَّ كلَّ عامٍ لا بُدَّ أن تَكُونَ فيهِ لَيْلةٌ سابعةٌ في الشهْرِ السابعِ ، وإذا اسْتَطاعَ أن يَنْجُوَ

بنفْسِهِ في هذه اللَّيْلةِ فإنهُ سَيكُونُ لديْه كَثيرٌ مِن الفُرَصِ في السنَواتِ القادمةِ ، ليُصْبِحَ غنيًا بَعد ذلكَ .

وهكذا رفَعَ التاجرُ وجْهَهُ إلى السَّماءِ وبَدَأَ يتْلُو الكلماتِ السِّحريةَ ، والغريبُ أنهُ ما إنْ أَتمَّ هذهِ الكلماتِ حتى تحوَّلَتِ النُّجومُ المُنْتَشِرَةُ في السَّماءِ أحْجارًا كَريمةً ، وانهمَرَتْ كالمَطرِ حتى غطَّتْ نِصْفَ الجبَلِ ، وعِنْدَ ما اختَبَرَ اللُّصُوصُ هذهِ الأحْجارَ وَجَدوها سَبْعةَ أنواعٍ حقًّا .

أَخَذَتِ اللُّصُوصَ الدَّهْشةُ ، وَغمرَتْهُمُ السعادةُ ، لحُصُولِهِمْ عَلَى هذا القَدْرِ مِن الأحْجارِ الكَريمةِ ، وَأَخذوا يَقفِزونَ وينطُّون ، وَكأنَّهُمْ قدْ جُنُّوا . وَفيما هُمْ في غمْرَتِهِمْ أَقبلَتْ عِصابةٌ أُخْرى كانَتْ تَسْكُنُ في الجبَلِ قريبًا مِن هذا المكانِ ، وقَدْ عَلِمَ أَفرادُها بنبأِ هذا الكَنزِ ، فَأَرادُوا أن يَسْتَوْلُوا عليْهِ ، وكانَتْ هذه العِصابةُ أَكْثرَ

عَددًا ، وأشَدَّ بَطشاً ، فَقتلُوا كلَّ أَفرادِ العِصابةِ الأولَى ، واستَوْلَوْا عَلَى الأَحْجارِ الكَرِيمةِ ، ولـٰكِنْ . . . إنَّهُمْ لَمْ يَقْنَعوا بِمَا نَالُوا ، وطَلَبوا مِنَ التاجِرِ أن يُكرِّرَ الكَلِماتِ السِّحريَّةَ ، حتَّى ينالُوا قدْرًا أَكْبَرَ مِنَ الأَحْجارِ الكَرِيمةِ ، ولـٰكنَّ التَّاجرَ تَوسَّلَ إليهم ، وأَقسمَ لَهُمْ صادِقاً أنَّ هَذهِ الكَلِماتِ لا تُقالُ غَيْرَ مَرَّةٍ واحِدةٍ فى السنةِ ، وَلا يُمكِنُ أن تُكرَّرَ ، وثَارَ اللُّصوصُ عِندَ ما سَمِعوا هَذا ، وَقتَلوهُ !

٣

بَدأَ اللُّصُوصُ يَقتَسِمُونَ الكَنزَ فيما بَينَهُمْ ، وكانَ كلٌّ مِنهُمْ يريدُ أن ينَالَ نَصِيباً أكْبرَ ، ولَمْ يُفكِّرْ واحِدٌ مِنهُمْ أن يَقْنعَ بنَصيبِه ، وثَارَ الخِلافُ بَيْنَهُمْ ، وأخيرًا اقتتَلوا ، وَأَفْنَى بَعضُهُمْ بعضاً ، حتى لَمْ يَبْقَ مِنهُمْ غيْرُ رَجُلَيْنِ كانَا أقْوى مَنْ فى العِصابةِ . . . ونظرَ كلاهُما إلى الآخرِ فى وَحْشِيَّةٍ ، وَتأَهَّبَ كلٌّ مِنهُمَا ليفْتِكَ بالآخرِ ، وفجْأةً قالَ أحَدُهما :

الآنَ لَمْ يَبْقَ غيْرُنا . . . إذا اقتَتَلْنا فلَنْ يُفيدَ أحَدُنا شيْئًا . . . خيْرٌ لَنا أن نَقتَسِمَ هذهِ الأحْجارَ الكَرِيمةَ بالتَّساوِي .

ووافقَ اللِّصُّ الآخرُ علَى هذهِ الفِكْرةِ ، وَأَلْقَى كلٌّ مِنهُما بِسَيْفِه ، ثمَّ شرَعا يَنقُلانِ الأَحْجارَ الكَرِيمةَ إلَى

كَهْفِ العِصابةِ . . .

كانَتِ الأحْجارُ الكريمةُ كثيرةً جدًّا ، كما كانتْ ثقيلةً جدًّا ، وقدْ ظلّا ثلاثةَ أيامٍ وثلاثَ ليالٍ يَعْمَلانِ في نَقلِها . وعِنْدَ ما فرغا مِنْ هذا العَمَلِ كانَ التَّعَبُ قدْ نالَ مِنهما ، وكانتْ أمعاؤهما تُقَرْقِرُ لِشِدَّةِ الجوعِ ، وكانَ كلٌّ مِنهما يَرْغَبُ في أكلةٍ شهيَّةٍ ، ولكنْ ... أنَّى لهما الطَّعامُ في هذا المكانِ المُوحِشِ ؟! وأخذا يتشاورانِ ، وأخيرًا قرَّرا أن يَبْقى أحدُهما للحراسةِ ، وأنَّ يذهبَ الآخرُ إلى المدينةِ ليشتريَ لحمًا ونبيذًا .

٤

أخذَ اللِّصُّ الذي بَقِيَ في الكهفِ يتأمَّلُ الأحجارَ الكريمةَ في سُرورٍ ، وسيطرتْ عليهِ فكرةُ الاستيلاءِ عليها جميعًا ، وطأطأَ رأسَه وفكَّرَ لحظاتٍ ، ثمَّ تناولَ سيفَهُ واختبأَ عِندَ مَدْخلِ الكهفِ ... ولم يَمْضِ وقتٌ طويلٌ حتَّى عادَ اللِّصُّ الآخرُ يحملُ النَّبيذَ واللَّحمَ ، وما إنْ خطا إلى داخلِ الكهفِ حتَّى هَوَى زميلُهُ بالسَّيفِ على رأسِه وقتلَهُ !

الآنَ أصبحَ هذا الكنزُ الضَّخمُ مِلكًا لهُ وحدَهُ .. ما أسعدَهُ ! وأخذَ يرقصُ طربًا ، وفكَّرَ : الآنَ يجبُ أن أحتفلَ بهذا النَّصرِ ... وتناولَ اللحمَ وصبَّ النَّبيذَ في الكأسِ ، وجلسَ على كَوْمةِ الأحجارِ الكريمةِ يأكلُ ويشربُ ... ولكن ... يا للعجبِ ! إنهُ ما إنْ فرغَ

مِنَ الشَّرابِ ، وألقى بزُجاجةِ النَّبيذِ بَعيدًا حتى شَعرَ بألمٍ شَديدٍ فى مَعِدَتِه ، وكأنَّ سكاكينَ لا حَصْرَ لها تُمزِّقُ أحْشاءَهُ ، وأَخذَ يتمرَّغُ فى التُّرابِ ويَصيحُ مُستغيثًا .

ولمْ تمضِ لَحظاتٌ حتى ماتَ هُوَ أيْضًا !

كَيفَ حدثَ هذا ؟ لقدْ أرادَ اللِّصُّ الذى ذهبَ ليشتَرِىَ الطَّعامَ أن يَستولِىَ على الأحجارِ الكَريمةِ وَحدَهُ أَيضًا ، فأضافَ إلى النَّبيذِ سُمًّا ليتخلَّصَ مِن زَميلِه .

* * *

لقدْ ماتَ الجَشِعونَ جميعًا ... وَبَقِيَتِ الأحجارُ الكَريمةُ مُخبَّأةً فى الكَهفِ ، ومُنْذُ ذلكَ الحِينِ أَطْلَقَ النَّاسُ على هَذا الجَبَلِ اسمَ : جَبَلِ الكُنوزِ السَّبْعةِ !

الدُّبَّانِ وشجرةُ التُّفَّاحِ

١

دَاخِى ، وَإِرْخُو — دُبَّانِ صَغيرانِ يَعيشانِ مَعَ أُمِّهِمَا فى بَيْتٍ أَمامَهُ شَجَرَةُ تُفَّاحٍ جَمِيلَةٌ ، أَمَّا دَاخِى فَهُوَ الأَكْبَرُ ، وَهُوَ أَسْوَدُ حالِكُ السَّوادِ يَكادُ سَوادُهُ يَضِىءُ ، لِشِدَّةِ بَرِيقِهِ وَلَمَعانِهِ ، وَأَمَّا إِرْخُو الأَصْغَرُ فَهُوَ أَصْفَرُ اللَّوْنِ .

أَرادَتِ الأُمُّ أَنْ تَزُورَ بَعْضَ أَقارِبِها ، فَخَرَجَتْ تَبْحَثُ عَنْ وَلَدَيْها ، فَوَجَدَتْهُما يَلْعَبانِ وَيَجْرِيانِ عَلَى الأَعْشابِ الْخَضْراءِ ، وَقَدْ أَمْسَكَ دَاخِى عَصًا طُولُها ذِراعانِ وَأَخَذَ يَرْقُصُ وَيُغَنِّى ، دُونَ أَنْ يُحِسَّ اقْتِرابَ أُمِّهِ :

مَا أَجْمَلَ الأَزْهارَ فِى الْغُصْنِ النَّضِيرْ
وَالْعُشْبَ وَالأَشْجارَ وَالْماءَ النَّمِيرْ
يَا جَنَّتِى ، أَنْتِ الْمُنَى ، أَنْتِ السَّمِيرْ

يَا وَرْدَتِى ، يَازِينَتِى ، فِيكِ الْعَبِيرْ

هَذِى عَصَاىَ حَمَلْتُهَا مِثْلَ الْأَمِيرْ

ثُمَّ ضَرَبَ دَاخِى الْوَرْدَ بِعَصَاهُ ، فَتَسَاقَطَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَأَخَذَ يَصِيحُ مُقَهْقِهًا :

الْأَزْهَارُ الْجَمِيلَةُ الْكَبِيرَةُ . . .

يُرِيدُ دَاخِى أَنْ يَتَزَيَّنَ بِهَا . . .

أَمَّا إِرْخُو فَلْيَمُتْ غَيْظًا . . .

وَفِى ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ إِرْخُو جَالِسًا عَلَى مَقْعَدٍ خَشَبِىّ ارْتِفَاعُهُ ذِرَاعٌ وَاحِدَةٌ ، وَكَانَ يُغَنِّى فِى صَوْتٍ خَفِيضٍ ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى أَخِيهِ :

لِمَقْعَدِى عَجَلْ   يَسِيرُ فِى الْجَبَلْ
تَـاهُ فِى الْعَمَلْ   يُحَقِّقُ الْأَمَلْ
أُغَازِلُ السَّمَكْ   فَيَطْرَبُ السَّمَكْ
وَيَخْضَعُ السَّمَكْ   لِآكِلِى السَّمَكْ



ثم ضرب داخى الورد بعصاه . . .

وَأُمْسِكُ سَبْعَ سَمَكَاتٍ أَوْ ثَمَانٍ ..

وَيَغْتَاظُ دَاخِي ..

فَيَنْزِلُ إِلَى النَّهْرِ بِسِرْوَالِهِ ..

فَيَعَضُّ ثُعْبَانٌ رِجْلَهُ ..

* * *

اِقْتَرَبَتِ الْأُمُّ مِنْ وَلَدَيْهَا وَقَالَتْ : يَا وَلَدَيَّ ! أَرْجُو أَنْ تَسْمَعَا نُصْحِي . . سَأَذْهَبُ لِزِيَارَةِ بَعْضِ أَقَارِبِي، وَسَأَعُودُ بَعْدَ أَيَّامٍ ثَلَاثَةٍ ... لَا تَتَضَارَبَا ، وَلَا تَتَشَاجَرَا ، وَامْكُثَا فِي الدَّارِ ، وَكُونَا وَلَدَيْنِ طَيِّبَيْنِ .

وَصَاحَ الدُّبَّانِ مَعًا : مَاذَا نَأْكُلُ ؟

وَكَانَ بِجَانِبِ الْأُمِّ شَجَرَةُ تُفَّاحٍ ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهَا وَقَالَتْ : إِذَا جُعْتُمَا فَاقْطِفَا مِنْ تُفَّاحِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، فَإِنَّهُ قَدِ احْمَرَّ .

٢

كَانَتْ شَجَرَةُ التُّفَّاحِ عَالِيَةً ، وَسَاقُهَا نَاعِمَةٌ كَالْحَرِيرِ ، أَوْ كَعَمُودٍ مِنْ زُجَاجٍ ، بِحَيْثُ يَسْتَحِيلُ تَسَلُّقُهَا ، وَالتُّفَّاحُ فَوْقَ الشَّجَرَةِ قَدْ نَضِجَ ، وَقَدْ تَعَطَّرَ الْجَوُّ بِشَذَاهُ الْجَمِيلِ ، وَرَائِحَتِهِ الطَّيِّبَةِ . وَنَظَرَ دَاخِي إِلَى التُّفَّاحِ وَقَالَ :

مَا أَشَدَّ حُمْرَتَهُ !

وَتَشَمَّمَ إِرْخُو رَائِحَةَ التُّفَّاحِ وَقَالَ :

رَائِحَتُهُ شَهِيَّةٌ .

وَيُحَاوِلُ كُلٌّ مِنْهُمَا أَنْ يَتَسَلَّقَ الشَّجَرَةَ ، وَلَكِنْ ...

دُنْ ... دُنْ ... لَقَدْ وَقَعَ دَاخِي .

دُنْ ... دُنْ ... لَقَدْ وَقَعَ إِرْخُو أَيْضًا .

وَيَعْطَسُ دَاخِي غَضَبًا ، وَيَضْرِبُ إِرْخُو الْأَرْضَ بِقَدَمِهِ فِي عُنْفٍ ؛ وَيَلُومَانِ أُمَّهُمَا لِأَنَّهَا لَمْ تَسْمَحْ لَهُمَا مِنْ قَبْلُ

بِتَسَلُّقِ شَجَرَةِ التُّفاحِ ، وَلَمْ تُخْبِرْهُمَا أَنَّ هَـذِهِ الشَّجَرَةَ صَعْبَةُ التَّسَلُّقِ . . .

مَا الْعَمَلُ ؟ !

وَبَعْدَ بُرْهَةٍ يُشِيرُ دَاخِي إِلَى التُّفَاحِ قَائِلًا :

عِنْدِي عَصًا يُمْكِنُ أَنْ أُسْقِطَ بِهَا التُّفَاحَ .

وَيُشِيرُ إِرْخُو إِلَى التُّفَّاحِ قَائِلًا :

عِنْدِي مَقْعَدٌ صَغِيرٌ يُمْكِنُ أَنْ أَقِفَ عَلَيْهِ وَأَصِلَ بِهِ إِلَى التُّفَاحِ . . .

وَيَجْرِيَانِ إِلَى الْبَيْتِ ، وَيَأْخُذُ دَاخِي عَصَاهُ ، وَيَحْمِلُ إِرْخُو مَقْعَـدَهُ ، ثُمَّ يَعُودَانِ مُسْرِعَيْنِ إِلَى شَجَرَةِ التُّفَاحِ .

وَيَرْفَعُ دَاخِي عَصَاهُ لِيَضْرِبَ التُّفَّاحَ ، لَـكِنَّ الْعَصَا أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ التُّفَّاحِ ذِرَاعٌ وَاحِدَةٌ .

وَيَقِفُ إِرْخُو عَلَى الْمَقْعَدِ الصَّغِيرِ ، وَيَمُدُّ يَدَهُ لِيُمْسِكَ التُّفَاحَ ، لَـكِنَّ الشَّجَرَةَ عَالِيَةٌ ، وَلَا يَزَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التُّفَّاحِ ذِرَاعَانِ .

الْتَفَتَ دَاخِي إِلَى أَخِيهِ إِرْخُو ، وَأَشَارَ إِلَى مَقْعَدِهِ الصَّغِيرِ قَائِلًا :

آه . . . لَو أَعْطَيْتَنِي هَذَا الْمَقْعَدَ الصَّغِيرَ ! !

وَأَشَارَ إِرْخُو إِلَى عَصَا دَاخِي قَائِلًا :

آه . . . لَوْ أَعْطَيْتَنِي هَذِهِ الْعَصَا ! !

وَيَقُولُ دَاخِي :

إِذَا أَعْطَيْتَنِي مَقْعَدَكَ الصَّغِيرَ أَعْطَيْتُكَ عَصَايَ .

وَيَقُولُ إِرْخُو :

أَعْطِنِي عَصَاكَ أَوَّلًا ، وَإِلَّا فَلَا تُفَكِّرْ فى اسْتِعْمَالِ هَذَا الْمَقْعَدِ الصَّغِيرِ . .

وَيَقُولَانِ مَعًا :

أَعْطِنِي أَوَّلاً . . .

أَعْطِنِي أَوَّلاً . . .

وَيَهُزُّ كُلٌّ مِنْهُمَا رَأْسَهُ عَلامَةَ الرَّفْضِ .

ثُمَّ أَخَذَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَسِيرُ تَحْتَ شَجَرَةِ التُّفَاحِ جِيئَةً وَذَهَاباً ، والشَّمْسُ قَدْ مَالَتْ لِلْمَغِيبِ ، وَأَمْعَاءُ دَاخِي تَصْرُخُ جُوعاً ، وَيَقُولُ لِإِرْخُو :

إِرْخُو . . . إِنَّنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ آكُلَ التُّفَّاحَ دُونَ أَنْ أَسْتَعْمِلَ مِقْعَدَكَ . . .

وَيَقُولُ إِرْخُو وَهُوَ يَضْغَطُ بَطْنَهُ حَتَّى يُخَفِّفَ أَلَمَ الْجُوعِ :

إِنَّنِي لَنْ أَسْتَعْمِلَ عَصَاكَ الرَّدِيئَةَ ، وَلَوْ طَلَبْتَ مِنِّي ذَلِكَ !

* * *

التُّفَّاحُ عَلَى الشَّجَرَةِ ، وَالدُّبَّانِ تَحْتَهَا ، وَهُمَا يُرِيدَانِ أَنْ يَأْكُلا التُّفَّاحَ ، وَلَكِنَّ التُّفَّاحَ يَأْبَى أَنْ يَنْزِلَ عَنِ

الشَّجَرَةِ ، فَمَاذَا يَصْنَعَانِ ؟

نُحَاوِلُ !

وَجَلَسَ دَاخِي تَحْتَ الشَّجَرَةِ مُطَأْطِئاً رَأْسَهُ يُفَكِّرُ ، أَمَّا إِرْخُو فَقَدْ رَفَعَ وَجْهَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَخَذَ يَضْرِبُ جَبْهَتَهُ بِيَدِهِ . . .

٣

أَحَسَّ إرْخُو بالْحَسَد نَحْوَ أشْجَارِ الصَّفْصافِ وَالسَّرْوِ لطُولِها وضخامَتِها ، وَقالَ لنفْسه :

لوْ كانَتْ هذهِ الأشجارُ قَصِيرةً ضَئِيلةً لَكانَ أَفْضَلَ . .

لقدْ كانَ يُرِيدُ أنْ يَقطَعَ غُصْناً منْها ، ولَكِنَّهُ لا يستَطيعُ ، وَنَظرَ يميناً وشِمالاً ، فرأى فى ناحيةِ الشمالِ غابَةً مَمْلوءَةً بالأشْجارِ الصغيرَةِ ، فخفَقَ قَلْبُهُ ، وَأَخَذَ يرقُصُ طَرَباً وَهُو يُرَدِّدُ :

ما أَحْسنَ حَظّى !

وَأَسْرَعَ نحْوَ هذهِ الغابَةِ ، وَمَدَّ يَدَهُ لِيقطَعَ غُصْناً منْها ، وَوقعَ نَظَرُهُ فجْأَةً عَلَى لافِتةٍ مُعلَّقةٍ قدْ كُتِبَ عليْها :

[هذهِ الأشْجارُ لى . ليْسَ لِأَحَدٍ أنْ يَقْرَبها .]
الثعلب

وَتلفَّتَ فرأى هُدهُدًا ، فسأَلهُ :

أَحَقًّا أنَّ هذهِ الأشْجارَ لِلثَّعلبِ ؟ !

فأجابَ الهُدْهُد بصوْتٍ مُرْتفعٍ :

أَأَنتَ غبىٌّ ؟ ! هذهِ الأشْجارُ لكَ وَلى وَللثَّعلب ، وللأَرنبِ أَيضاً ، فكيفَ تكُونُ للثَّعلب وَحْدهُ ؟ !

ولمَّا سَمعَ إرْخُو قوْلَ الهُدْهُدِ مَدَّ يَدَهُ دُونَ تَرَدُّد لِيقْطَعَ غُصْناً منْ هذهِ الأشْجارِ ، وَفجأةً ظَهرَ الثَّعلبُ منْ بينِ الأعْشابِ ، وَقالَ لِإرْخُو :

يا هَـذا ! ! . . . ماذَا أَصابَكَ ؟ ! ألا تَرَى هذهِ اللَّوْحَةَ ؟ ! أَتريدُ أنْ تُضَيِّعَ عُمْرَكَ ؟ !

وَصرَخَ الثَّعلَبُ ، وَأَخْرجَ لسانَهُ لِيُخيفَ إرْخُو ، ولكنَّ إرْخُو لم يَخفْ ، وَقالَ للثَّعلبِ :

مَنْ قالَ إنَّ هذهِ الأشْجارَ لكَ ؟ ! هذهِ الأشْجارُ لَنا جميعاً . . .

هذهِ الأشْجارُ لِى ، وَلكَ ، وَللهُدْهُد ، وللأَرْنبِ أيضاً .

وَرَدَّ الثَّعلبُ :

هٰذِهِ الأَشْجارُ لى .

ويُهَدِّدُ الثَّعلبُ إرْخُو ، ولكنَّ إرخو لا يَخَافُ .
لقدْ تذَكَّرَ أنَّهُ هُوَ وأَخُوهُ دَاخِي قدْ ضَرَبا الثَّعلبَ ذَاتَ يوْمٍ حتَّى كادَ يمُوتُ ، ولكنَّ إرخُو اليوْمَ وَحْدَه ...
ويَهْجُمُ الثَّعلبُ عَلَى إرخُو فجْأَةً ، ويعَضُّ أُذُنَهُ ... ويَقْطَعُها ...
فيَسيلُ الدَّمُ عَلَى وجْهِهِ ، ويتَأَلَّمُ أَلماً شَديدًا .

٤

ذَهبَ دَاخِى إلى شَاطِئِ الْجَدْوَلِ حيثُ تُوجدُ أَحْجارٌ كثيرةٌ مُرَبَّعةٌ ، وَانحنى دَاخى ليَحْمِلَ أَحدَ هذهِ الأَحْجارِ ، وهُوَ يَقولُ :

مَا فائِدَةُ المقْعدِ ؟! الأَحْجارُ خَيْرٌ منهُ وَأَفْضَلُ ..!!

وَخَرجَ صُرْصُورٌ منْ بينَ الْحِجارَةِ وَقالَ لِداخى :

أَتُرِيدُ أنْ تحْمِلَ هذَا الحجَرَ ؟ إنِّى أُحَذِّرُكَ ...
لَوْ كانَتْ البُومَةُ تستَطِيعُ أنْ تُمْسِكَ الثَّعلبَ ، لَاسْتَطعْتَ أَنتَ أنْ تحْمِلَ هذَا الحجرَ الكبيرَ !

ويَقولُ داخى :

لقَدْ حَمَلتُ أَنَا وإرخُو حَجَرًا أَكْبرَ مِنْ هذَا ذَاتَ يوْمٍ ..

وينْحَنى داخِي يريد أنْ يحْمِلَ الحجرَ ، وَيُحاوِلُ أنْ يحمِلَه ؛

ولكنَّ الحجرَ لا يتحرَّكُ ، كأنَّهُ قدِ امْتدَّتْ لهُ جُذورٌ فى الأرْضِ ، ويَغْضَبُ داخى ، ويَجْمَعُ كلَّ قُواهُ فِى ذِراعيْهِ ليحْمِلَ الحجَر ، ويَنْفَصِلُ الحجَرُ عنِ الأرضِ ، ولكنَّهُ لا يرْتفعُ أكثرَ منْ بُوصةٍ ، ثمَّ يَهْوِى عَلَى قدَم داخى .

صَرخَ داخِى منَ الألمِ ، وَسارَ عائِدًا إلى البيْتِ ، وهُوَ يعرُجُ ، لأنَّ قدَمهُ أُصيبَتْ منَ الحجَرِ الكبيرِ الّذى وَقعَ عليْها ، وكانَ تارةً يَمْشِى على رجْليْنِ ، وتارَةً يمْشى عَلَى ثلاثٍ ، وكانَ يُحِسُّ فى قدَمِهِ لَسْعَ النَّارِ منْ شِدَّةِ الألَم ، وقَدْ سالَ عرَقهُ غزيرًا .

وَهُناكَ رأَى شَجَرةَ التُّفَّاح ، وأَحَسَّ بأمْعائِه تصْرُخُ جُوعًا :

مَا أَشَدَّ حُمْرَةَ هذَا التُّفَّاحِ ! !

وفجْأةً سَمِعَ بُكاءً ، ولَمْ يَكُنِ الصَّوْتُ غريبًا عنهُ ،

وبَعْدَ بُرْهةٍ رأَى إرْخُو وَهُوَ يبْكى ويَضَعُ يدَيهِ عَلَى رأْسِه ، ويَجْرِى إلى البيْتِ مُسْرِعًا . . . ولكنْ . . . مَا هذَا ؟ ! إنَّ أُذُنَ إرخُو مَجْرُوحةٌ ، وإنَّ الدَّمَ يَسِيلُ على عُنُقِه ، وقَدِ اصْطبَغَ شَعْرُهُ الأصْفرُ بلَوْنِ الدَّمِ .

٥

كُولُولُو ! كُولُولُولُو . . .

كُولُولُو ! كُولُولُولُو . . .

كانَ هذا صَوْتَ أَمْعاءَ الأَخَوَيْنِ وقد عَضَّهُمَا الْجُوعُ .

واسْتَلْقَى داخِى على الأرضِ وأَخذَ ينظُرُ إلى التُّفَّاحِ . .

واستَلْقَى إِرْخُو على الأرْضِ وأَخَذَ ينظُرُ إلى التفّاحِ . .

والتفَّاحُ قدْ كَبِرَ ، ولَوْنُه قدِ احْمَرَّ ، وهُوَ شَهِيٌّ !

ولٰكنَّ أَمْعاءَهُما تَصرُخُ جُوعًا ! ويَبكِى دَاخِى مِنْ أَلَمِ الجُوعِ ، ويَبكِى إِرْخُو أيضاً ، ويَشْتَدُّ بُكاءُ الأَخَوَيْن ، ويُفزِعُ بُكاؤُهما الغزالةَ ، فتَجِىءُ إلى شَجرةِ التفّاحِ ، وتسألُهُمَا :

لماذا تبكيَانِ ؟!

ويُجيبُ دَاخِى : لأنَّ قدَمِى تؤلِمُنى !

ويُجيبُ إِرْخُو : لأنَّ أُذُنى تؤلِمُنى !

وقصّا قِصَّتَهُمَا على الغزالة ، ونَظرَتِ الغزالةُ إلى العصَا والْمَقعَدِ ، ثُمَّ قالتْ آسفةً :

الحَجَرُ ثَقيلٌ جِدًّا ، ولا تستطيعُ أنْ تحمِلَه وَحْدَكَ يا دَاخِى ؛ والثعلبُ خَبيثٌ ، وَلا يستطيعُ دُبٌّ واحدٌ صَغيرٌ أنْ يَغلِبَه ! يا صديقَىَّ . . . لا تبكيَا ! أَتشعُرَانِ بالْجُوعِ ؟! أَتُريدانِ أنْ تأكُلَا التّفاحَ ؟! أَتشتهيانِه ؟!

فيَقُولُ دَاخِى :

أَنا أَشْتهيهِ كثيرًا . . .

ويَقُولُ إِرْخُو :

وأَنا أَشتهيهِ كثيرًا . . .

وتُقهقِهُ الغزالةُ ثُمَّ تَقُولُ :

عِنْدِى تُفّاحٌ كثيرٌ . . . سأُعْطيكما إيّاه ، ولٰكنْ بِشرْطٍ واحدٍ ، هُوَ أنْ تُطيعانِى .

فهزَّ داخي رأسَهُ موافقاً . . .

وهزَّ إرْخُو رأسَهُ موافقاً . . .

قالَتِ الغزالةُ :

يا داخي أعطِني عصاكَ .

فأعْطاها داخي عصاهُ .

ثمَّ قالتْ :

يا إرْخُو أعطِني مقعدَكَ .

فأعْطاها إرْخُو مقعدَهُ .

أخذَتِ الغزالةُ العصا ، ووقفتْ على المقعدِ ، ثمَّ ضربَتِ التّفّاحَ بالعصا ، فتساقطَ التّفّاحُ الأحمرُ الشّهيُّ على الأرضِ واحدةً بعدَ واحدةٍ . .

أخذَ داخي تُفّاحتَيْنِ وأرادَ أنْ يأكُلَهُما . . .

وأخذَ إرْخُو تُفّاحتَيْنِ وأرادَ أنْ يأكُلَهُما أيْضًا . . .

ولكنَّ الغزالةَ قالتْ :

إذا أردتما أن تأكلا التفاح بعد ذلك ، فاقطفاه بمثل هذه الطريقة

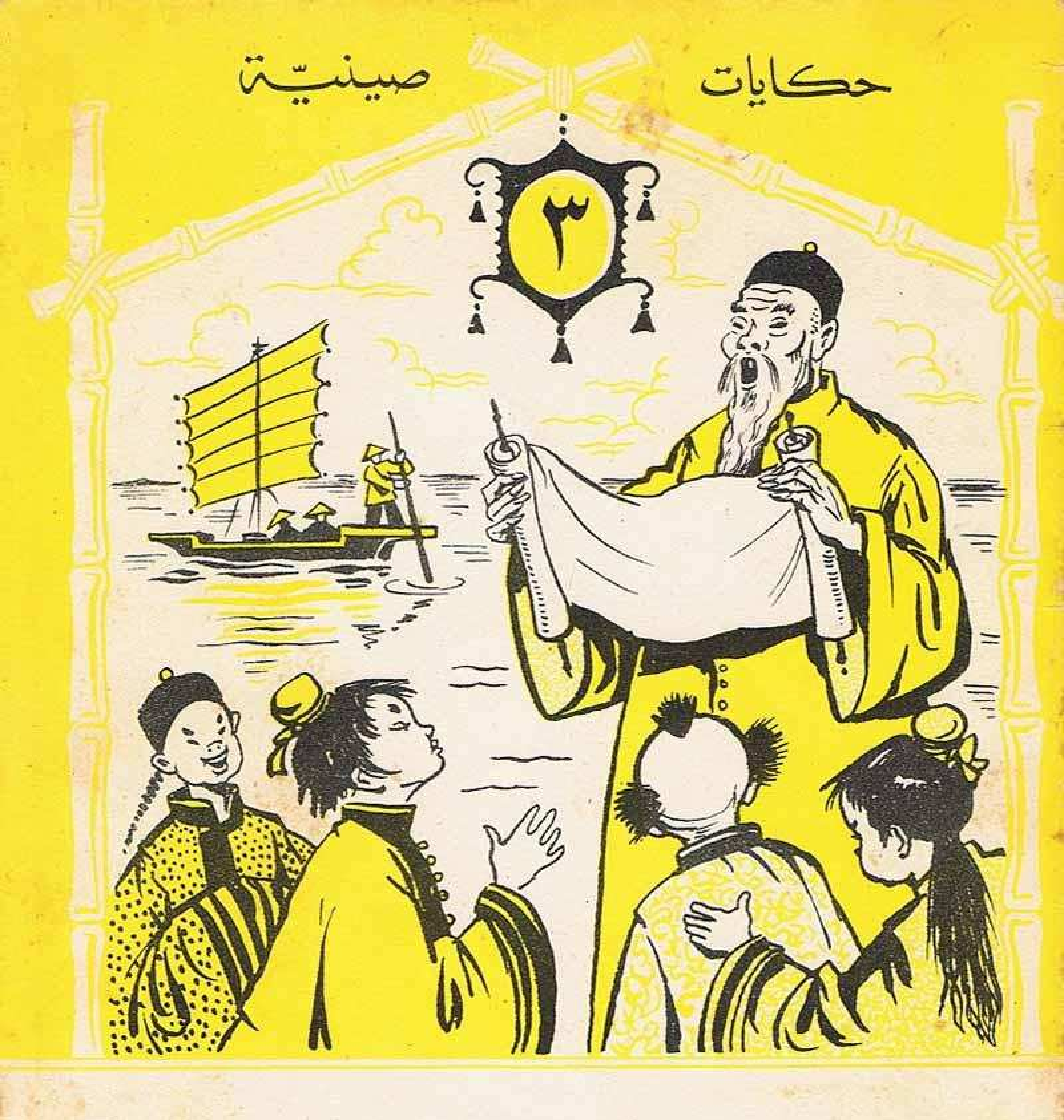
لا تتَسَرَّعا . . . لقدْ وَعَدتُمَا بأنْ تُطيعاَ أَمْرِى ، فإذا أَرَدْتُمَا أنْ تأ كُلاَ التُّفّاحَ بَعدَ ذٰلكَ ، فاقطِفاهُ بمِثْلِ هٰذهِ الطَّرِيقةِ ، وَلوْ فَعَلْتُمَاَ هٰذا مِنْ قبْلُ ما قُطِعَتْ أُذُنُ إِرْخُو ، وَما كُسِرَتْ قدَمُ دَاخِى . .

عَادَتِ الغزالةُ مِنْ حَيْثُ جاءَتْ ، ونَظرَ دَاخِى إلى إرْخُو ، ونَظَرَ إِرْخُو إلى دَاخِى ، ثمَّ تعاَنَقَ الأَخَوانِ ، وأَخذَا يأ كُلاَنِ التُّفّاحَ الأَحْمَرَ الشَّهِىَّ قائِلينَ :

ما أَحْلَى هٰذا التُّفَّاحَ ! !

ما أَحْلَى هٰذا التُّفَّاحَ ! !

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨



جبل الكنوز السبعة

دار المعارف بمصر